المحتوى ، وقد يتحدث الناقد عن مشكلات أخرى تشملها القصيدة إذ ربما تدخل فيها مسائل فلسفية أو أخلاقية كالمعتقدات والأفكار التى تعكسها والقيم التى تؤكدها ، ذلك أن علاقاتها بالمعتقدات والقيم لدى القارئ يظل أمراً هاماً له دلالته وخطره ، وكذا علاقاتها بالقرائن الحضارية ، ليخلص من كل هذا إلى وضع القصيدة فى مكانها الطبيعى من آثار صاحبها من كل زاوية ، وكأنه يواجه مشكلة الظروف التى ولدت فيها القصيدة ، ،ويتحدث عن الملامح المتفرِّدة فى أسلوبها ، وما تعكسه من فكره وشخصيته عكسا متميزاً ، وفى النهاية يعمد الناقد المثالى إلى تقدير القصيدة من الناحية الذاتية على أساس من كل ما سبق ، وتقويم أجزائها من الناحية الجمالية من حيث علاقتها بالغاية والجمال ، وقوة الغاية نفسها ، أو درجة استكمالها لعناصرها المتعددة .

وليس علينا أن نتوقف طويلا أمام منطق الإحباط التى انتهى إليها (ستانلي هايمن) حين صور كل ما قاله على أنه مجرد (شقشقة لسانية فيها سمو المثل الأفلاطونية واستحالتها معا ، وعليها ينبغى أن نحطم هذه الصورة لنعود إلى عالم الحقائق ومجال الإمكانات الفردية التى هى فى طوق الفرد من بنى الإنسان »[1] .

بل يحسن أن نظل ساعين وراء تلك الرؤى المثالية التي قد ترهق الناقد وتكد ذهنه ، ولكنه الإرهاق الذى يثري الحركة الأدبية ويزيدها حيوية ونشاطاً ، وكذا يزيد عالمنا الفنى عمقا وأصالة ، فلا يصح للناقد أن يتسلح بقليل من أدواته ليأتى على عجل من أمره فيقفز إلى إصدار الأحكام ، وكأن المبدع متهم دائما ، ذلك أن هذه الأحكام سرعان ما تفقد قيمتها وتفرغ من معناها حين تقع فى دائرة الفوضى النقدية التى قد يغفل أهلها التفسير العميق لكل جوانب النص الأدبى أخذا بالنظرة الأحادية لمصادر فنه ، واكتفاء بالموقف الجزئى فى تصوير تجربته ، وعليه يجب أيضا أن نأخذ المبدع بنفس الدرجة من العمق الفكرى ، إذ ليس ثمة ما يدفعنا إلى قبول أعمال ارتجالية لا أساس لها من أصالة الفكر ، أو الإلمام باللغة وتاريخ الفن[2] ذلك أن هناك أدوات كثيرة لابد أن يلم بها المبدع ، وإلا وجب إسقاط عمله من جنسه النوعى ، وذلك أن عجلة العصر . وسرعة إيقاع الحياة ، وزحامها بالأحكام لابد أن يطرح

(١) النقد الأدبى ومدارسه الحديثة ٢/٢٤٥ ومابعدها .

(٢) يراجع فى هذا دراسة ارنست فيشر حول « ضرورة الفن » دراسة هاوزر حول « تاريخ الفن » ودراسة ديفيد ديتشس حول « مناهج النقد الأدبى بين النظرية والتطبيق » .